رفح وأخواتها.. كذبة العدل الدولي

أحمد فؤاد
كاتب ومحلل سياسي

كتبت مجزرة رفح المأساوية، يوم ٢٦ أيار/مايو، خلاصة نحو ٨ أشهر من الصراع مع العدوّ الصهيوني، حفرت بنيران القذائف الحارقة ولهب القنابل ووحشية الصواريخ خطوطًا على الوجه العربي، لا يمكن نسيانها مهما امتد بنا العمر. لقد كشف العدوّ من سلاحه الأول "الصدمة والرعب"، عبر القتل العشوائي الواسع، وممارسة العنف المجرد، العنف أولًا، والعنف دائمًا، ومع ذلك يمكننا الخروج بنتيجتين مباشرتين من ليلة الجحيم في رفح، هما أن روح الصمود لدى هذا الشعب الجبار لم تهتزّ وقلبه لم يلِن أمام عواصف الدمار، ومحور المقاومة قد أثبت من جديد لجمهوره، ومن هم خارج ساحاته، أن فعل الجهاد هو كلّ ما تبقى لهذه الأمة، إن أرادت الحياة.

ثمانية أشهر من القتال على جبهات العز والشرف، قد أنتجت مباشرة معادلة استراتيجية جديدة في المنطقة، طوت نهائيًا وتمامًا فكرة "صفقة القرن" أو مشروع الشرق الأوسط القادم بزعامة "تل أبيب"، بما فيه أن يكون الكيان ركيزة طرق التجارة العالمية وخطوط الغاز الطبيعي ومركز القيادة الإقليمية التابع مباشرة للولايات المتحدة الأميركية. هذه الأفكار والمشروعات باتت خيال بائس، ليس لها محل من الواقع مع الضربة العسكرية التي عرّت وكسرت "الرادع الصهيوني". أهم ما قدمه طوفان الأقصى أنه كشف هشاشة هذا الكيان الوهمي، وفقدانه لعوامل أساسية لازمة للبقاء، لا عمق استراتيجي لديه ومساحته الصغيرة وسط محيط عربي كاره هي الحقيقة الواضحة الآن، دون جدال.

فشل العدوّ طوال الحرب في انتزاع أي هدف، يمكن أن يبني عليه قصص نصر ملفقة. غزّة تلقت من الذخائر – على الأقل - ٤ أضعاف قنبلة هيروشيما النووية - ١٥ ألف طن متفجرات - والتي كسرت إرادة اليابان وأجبرتها على الاستسلام، منهية أوسع صراع في التاريخ الإنساني، الحرب العالمية الثانية. غزّة الصامدة تحملت كلّ هذا الدمار والموت، لكن الفارق المذهل أنها لم تهتزّ ولم تنكسر، ولا تفكر حتّى في غير الانتصار.

كان منطقيًّا بالنسبة لوحشية العدوّ وشرّه وحقارته وجبنه وحقده أن يلجأ في مواجهة هذا الصمود المعجز إلى رفع مستوى إجرامه إلى شكل جديد يفوق حدود تصورنا، وحتّى ما يتصوره غيرنا، بإقدامه على المجزرة البشعة في رفح؛ نازحين في خيام بلاستيكية، تلقوا جرعة حادة من الإجرام الناري الصهيوني. لجأ الصهيوني إلى النار لرمزيتها وثقلها الشديد على النفس السوية، أنت لا تقتل فحسب، أنت تحرق بشرًا حتّى الموت. يعيد الصهيوني بوعي أو بغير وعي استنساخ أقذر سيناريوهات الشر التي عرفها الإنسان، وكلّ هذا في مواجهة لاجئين مدنيين ضعفاء جوعى، وفوق كلّ هذا الغدر فإنها منطقة أعلنت آمنة من قبل العدوّ ذاته.

جريمة رفح ليست جديدة، ولا هي الأولى من نوعها، ولن تكون قطعًا الأخيرة. إنها أقرب إلى كونها "التجربة المعتادة" في المواجهات العربية الصهيونية، بدءًا من دير ياسين وبحر البقر وقانا الأولى وقانا الثانية وصولًا إلى مستشفيات غزّة، الشفاء والمعمداني وكمال عدوان. إنها التصرف الوحيد الثابت والعقيدة الراسخة لجيش الكيان الصهيوني في الحرب، لكن الفارق في رفح أنها مجزرة منقولة على الهواء مباشرة، لأهداف عدة.

جريمة رفح ليست جديدة، ولا هي الأولى من نوعها، ولن تكون قطعًا الأخيرة. إنها أقرب إلى كونها «التجربة المعتادة» في المواجهات العربية الصهيونية

مع الفشل العسكري الكامل اختار الكيان سياسة إعلامية جديدة، لاقت بفعل مخطّطاته والمؤامرات الأميركية، نصيبها من النجاح السهل، ودون حتّى أن يطلق رصاصة واحدة، واستطاع عبر وسائل إعلام عربيةِ الاسم صهيونية الهوى أن يزرع فينا الخوف والهلع من المواجهة، وكرّس صورة ذهنية لدى الشعوب العربية بالذات، أنها دولة تملك الكفاءة والقدرة، وتعليمًا هو الأرقى في المنطقة، وسلاحًا فتاكًا لا نحلم حتّى بمضاهاته، ومع كلّ هذا، راية منتصرة ترتفع بعد كلّ مواجهة عسكرية، ومدن تضج بالحياة وتشبع لهوًا واحتفالًا، فيما تئن مدننا وقرانا المقصوفة بموتاها وتلملم دماءها وجرحاها.

لكن هذه المرة لا يبدو أن مدننا العربية فقط هي التي ستدمر في هذه الحرب؛ اليوم شمال فلسطين المحتل يقصف ويضرب يوميًا، والجيش اليمني يفرض حصاره ويرسل مسيراته إلى أم الرشراش المحتلة في الجنوب، والمقاومة العراقية تواصل عملياتها ذات الآثار النفسية والمادية الهائلة على المعركة، ثمّ رجال الله الذين وقفوا وقفة لله وللحق، وأصبحوا اليوم أصحاب اليد الطولى في المنطقة، وأهم سلاح يعمل له العدوّ ومَن وراء العدوّ ألف حساب.

سماحة السيد حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله، قال في خطابه يوم ٢٨ أيار/مايو، إن "الدم الذي سفك في رفح يجب أن يحرك كلّ الساكتين حتّى اليوم، وهذه الدماء ستكون طريق التحرير وليس أقل من ذلك"، وإن "محكمة العدل الدولية طالبت بوقف العدوان منذ أيام، فكان الرد هذه المجزرة". بالطبع يجب أن تغير فينا رفح فكرة اللجوء إلى خيار العجز، العدل الدولي أو الأميركي، فلدينا حق، ولن نأخذه بغير سلاح ودماء.

● التحليل الإخباري

أسرى جدد وصواريخ تدك «تل أبيب».. القسام تصفّر عدّاد الصهاينة

اسماعيل المحاقري
كاتب ومحلل سياسي

لم يكن تراجع زخم عمليات كتائب القسام قبيل التصعيد على رفح مؤشر ضعف أو وهن، نتيجة الهجمات والاعتداءات "الإسرائيلية" الوحشية، ولم يكن مرد ذلك رهان فلسطيني على الضغوط الدولية لكبح جماح العدوّ وحمله على وقف العدوان على غزّة ورفع الحصار، بل هو عمل تكتيكي يسبق الطوفان المتجدد، ويرسم مشهدًا ميدانيًا يعزز من حقيقة فشل تحقيق أوهام "سحق المقاومة" وإضعاف مقاتليها الذين يراكمون إنجازاتهم ويطورون من أساليب المواجهة بشكل يفاجىء الاصدقاء قبل الأعداء.

رفح بفضل الله وصمود أهلها والنازحين إليها لم ولن تكون الفصل الأخير لجيش العدوّ لإنهاء مسلسله الدموي والوحشي، بنهاية درامية يستعيد بها الكيان أمنه المفقود وتعيد الروح إلى حكومة نتنياهو المأزومة والمترنحة؛ فثمة أجزاء إضافية بدأت مع استئناف العمليات النوعية للقسام وشركاء العمل الجهادي بعد ثمانية أشهر من المواجهة، ليبدو طوفان الأقصى كما لو أنه في بداياته رغم الوحشية الصهيونية المفرطة في قتل واستهداف المدنيين وتدمير منازلهم.

ما بين عملية قتل وأسر عدد من الجنود الصهاينة بعملية استدراج ناجعة في جباليا، وقصف "تل أبيب" بالصواريخ من منطقة مشتعلة، أقل من ٢٤ ساعة. إنجازان نوعيان في وقت وجيز وفي ظروف صعبة وغاية في التعقيد يفرضان على العدوّ "الإسرائيلي" وداعميه إعادة قراءة المشهد والتأمل في مدلولاته العسكرية. ومن هذه المداولات أن كتائب القسام وفصائل المقاومة استطاعت أن تحافظ على بنيتها العسكرية وقدرتها الصاروخية رغم الاجتياح "الإسرائيلي" الكبير لقطاع غزّة والتدمير الهائل الذي طال المنازل والبنى التحتية طيلة الأشهر الماضية.

كتائب القسام أظهرت براعتها في إدارة المعركة وتوظيف قدراتها لخلط أوراق العدوّ وانتزاع زمام المبادرة منه في أكثر من محطة، وعملية الأسر من شأنها أن تعمق حالة الانقسام الصهيوني نتيجة الإخفاقات المتراكمة، وتزيد من الضغوط على حكومة نتنياهو لإعطاء الأولوية لعقد صفقة تبادل الأسرى بدلًا من أسر المزيد وعودتهم في توابيت.

إطلاق الصواريخ على "تل أبيب" تزامنًا مع دعاية الاقتراب الصهيوني من تحقيق "الانتصار الساحق" يزيد من أزمة ثقة المستوطنين في جيشهم وقادتهم ويقلل من احتمال العودة إلى مستوطنات الغلاف أو حتّى الشمال. وأن الفشل "الإسرائيلي" في حسم المعركة وتحقيق الأهداف المعلنة سيرفع منسوب الضغوط الدولية على الكيان لتغليب الحلول السياسية على العسكرية والتنازل عن الشروط والمطالب غير الواقعية في المقابل تحسين الشروط التفاوضية للجانب الفلسطيني.

ومع صمود أهالي غزّة ومقاومتها واستمرارية زخم العمليات المساندة من لبنان والعراق واليمن تقترب نهاية قادة عسكريين وسياسيين صهاينة، ولا بديل لأميركا إلا أن تضحي بنتنياهو، ومن مؤشرات ذلك دعوة زعيم المعارضة "الإسرائيلية" يائير لابيد لاجتماع مع وزير الحرب الأسبق ليبرمان وزعيم حزب "أمل جديد" جدعون ساعر لبحث سبل إسقاط حكومة نتنياهو وتشكيل حكومة أخرى وفق إعلام العدو.

كيف ساهم التحرير عام ٢٠٠٠ في تثبيت قوة موقف لبنان اليوم؟

شارل أبي نادر
كاتب ومحلل سياسي

لا يمكن فصل نتائج وتأثيرات تحرير لبنان من الاحتلال "الإسرائيلي" عام ٢٠٠٠، عن الموقف اللافت الذي يلعبه اليوم لبنان الدولة والمقاومة على المستوى الإقليمي وربما الدولي، وذلك ضمن المواجهة الاستثنائية الحالية في المنطقة، بين الصهاينة وداعميهم الغربيين بقيادة واشنطن، وبين الشعب الفلسطيني في غزّة وفي الضفّة الغربية، كرأس حربة أساسية في هذه المواجهة، والمدعوم بقوة وبفعالية من حلفائه في محور المقاومة، في اليمن والعراق ولبنان وإيران.

أولًا، تبدأ انطلاقة ودعامة هذا الموقف القوي للبنان اليوم من كونه محررًا من الاحتلال، ولا وجود لأي نوع من أنواع الهيمنة أو السيطرة على قراره. ويكفي أن نقارن الفارق في مستوى استقلالية أو عدم استقلالية القرار بين أبناء بلد محتل وأبناء بلد محرر، والمقصود هنا طبعًا القرار الوطني والقوميّ المرتبط بالصراع التاريخي ضدّ العدوّ "الإسرائيلي"، وحيث كان أحد أتعس نماذج وصور الهيمنة والسيطرة بعد غزو العدوّ "الإسرائيلي" للبنان واحتلال قسم أساسي منه، معاهدة السلام السيئة الذكر واتفاقية ١٧ أيار المشؤومة التي فرضتها وحداته حينها على السلطات اللبنانية، والتي اندثرت سريعًا طبعًا مع بدء زوال الاحتلال وانسحابه من محيط بيروت، بفضل المقاومة الشرسة ضد وحدات الاحتلال آنذاك ولاتفاقية الإذعان تلك، وذلك عبر مختلف الوسائل والطرق السياسية والديبلوماسية والشعبية والعسكرية.

هذا المسار نحو الدولة القوية صاحبة القرار السيادي الحر، والذي انطلق من التحرير عام ٢٠٠٠، تثبّتَ أكثر وأكثر مع الانتصار على الإرهاب في الحرب الإقليمية والغربية التي شنت على لبنان وعلى سورية بعد العام ٢٠١١، وأيضًا، البديل لهذا الانتصار، والذي لعبت المقاومة الإسلامية في لبنان أو حزب الله الدور الأساس في فرضه، انطلاقًا من عمليتها الاستباقية في سورية في دعم الجيش العربي السوري، ولاحقًا داخل لبنان، في عمليات مستقلة وفي أخرى مشتركة مع الجيش اللبناني، كان "البديل" في ذهاب لبنان نحو الفوضى والتفتت والشرذمة وفقدان التوازن الأمني والاجتماعي، من ضمن مخطّط غربي - إقليمي أيضًا، كصورة أخرى مخطّط لها، من ضمن صور الاحتلال والهيمنة وإفقاد البلاد سيادتها وقرارها الحر، والهدف دائمًا أبدًا كان إخضاع لبنان للتوجه الغربي الإقليمي، نحو القبول بالتطبيع مع العدوّ ونحو إبعاده عن موقعه الطبيعي والصحيح في مواجهة ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

من ضمن مسار استهداف لبنان ومناعته وقدراته، كانت أيضًا معركة الترسيم البحري مع العدوّ "الإسرائيلي" معركة فاصلة، بفضل موقف المقاومة الإسلامية في لبنان، ومناورة الضغوط والتهديدات الاستثنائية بما تملكه من قدرات وأسلحة نوعية، والتي خاضها حزب الله أثناء مفاوضات الترسيم غير المباشرة بين الدولة اللبنانية والعدو، لعبت دور الورقة الرابحة في خضوع الأخير لمطالب الوفد اللبناني، والتي هي بالنهاية، واستنادًا لكل مندرجات القانون الدولي وقانون البحار واقتسام المياه الاقتصادية الخالصة بين الدول المتجاورة، حقوقٌ ثابتةٌ للبنان، فرضتها وثبتتها معادلتا القوّة والردع.

من ضمن مسار استهداف لبنان ومناعته وقدراته، كانت أيضا معركة الترسيم البحري مع العدوّ «الإسرائيلي» معركة فاصلة، بفضل موقف المقاومة الإسلامية في لبنان

اليوم، أيضًا، ومع عملية طوفان الأقصى، والتي يخوضها أطراف أساسيون من محور المقاومة ضدّ العدوّ "الإسرائيلي" دعمًا وإسنادًا للمقاومة في غزّة وللشعب الفلسطيني، يلعب الموقف اللبناني الذي تترجمه المقاومة الإسلامية في لبنان، الدور الرئيسي في معركة الإسناد هذه، طرفًا صاحب التأثير الأول مباشرة، ميدانيًّا وعسكريًّا على الجبهة الشمالية لفلسطين المحتلة، وعنصرًا أساسيًّا فاعلًا في هذه الحرب الشرسة ضدّ الصهاينة، والتي بدأت تأثيراتها وتداعياتها تلامس الخط الأحمر، والذي بدا يشكّل خطرًا جديًّا على وجود العدوّ في المنطقة وعلى قدرته على حماية احتلاله.

انطلاقًا من هنا، يمكن ربط أهمية ما حققه التحرير على صعيد مناعة لبنان الاستراتيجية، أولًا في تحرير أرضه وإنهاء الاحتلال وتأمين نواة ارتكاز أساسية للسيادة، وثانيًا في انتصاره على الإرهاب كأخطر مرحلة داخلية تعرض لها، أمنيًّا واجتماعيًّا وعسكريًّا، كانت تستهدف سيادته وموقفه القوميّ والوطني الحر، وثالثًا في تثبيت حقوقه وثرواته الاقتصادية البحرية، وأخيرًا في مساهمته الرئيسية في تثبيت وفرض موقف إقليم فاصل ومؤثر ضدّ العدوّ "الإسرائيلي"، وليكون لبنان اليوم، ومن خلال موقف وتضحيات المقاومة، لاعبًا أساسيًا في تحديد وفرض معادلات الحق والقوّة والعدل في المنطقة، ضدّ الاحتلال وداعميه، ومناصرًا شرسًا لقضايا الأمة وعلى رأسها قضية فلسطين التي عادت اليوم، بفضل التضحيات العزيزة والشريفة لشعبها ولمقاومتها، وبفضل تضحيات مسانديها وداعميها، إلى رأس اهتمامات المجتمع الدولي، رغمًا عن أنف أطراف التسلط والهيمنة الغربية الصهيونية الأميركية.